الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

التطبيق رقم:6 علم السرد عند تودوروف

1- التعريف بتودوروف:

تزفيتان تودوروف فيلسوف فرنسي- بلغاري، وُلِد في 1 مارس 1939 في مدينة صوفيا البلغارية. يعيش في فرنسا منذ 1963، و يكتب عن النظرية الأدبية، تاريخ الفكر، و نظرية الثقافة.

أعماله:

نشر تودوروف 21 كتابا، بما في ذلك "شاعرية النثر (1971)"، "مقدمة الشاعرية (1981)"، و "فتح أمريكا (1982)"، ميخائيل باختين : مبدأ الحوارية (1984)"، "مواجهة المتطرف: الحياة الأخلاقية في معسكرات الاعتقال (1991)"، "حول التنوع الإنسان (1993)"، "الأمل و الذاكرة (2000)"، "و الحديقة المنقوصة : تركة الإنسانية(2002).

2- علم السرد عند تودوروف:

السرديات أو علم السرد بالإنجليزيةNarratology بالفرنسية Narratologie : و هي نظرية تهتم بدراسة الأجناس السردية أقصوصة، قصة، رواية، مقامة، نادرة، أسطورة، خرافة، و السرديات أو علم السرد، من المصطلحات التي أبدعتها البنيوية، و كانت بدايته مع الشكلانيين الروس؛ مع فلاديمير بروب (1968 / 1928) في علم تشكل الحكاية.

لكنّ تزفيتان تودوروف هو من صاغ مصطلح علم السرد لأول مرة عام 1969 في كتابه قواعد الديكاميرون، و عرّفه بـ (علم القصة).

لقد قدم تودوروف للنقد جملة من الكتابات المتعلقة بمجال السرد، أهمها مقالته المنشورة ضمن العدد 8 من مجلة تواصلات Communication 1966، و كتابه الشعري Poètique 1968 ، و كتاب شعرية النثر Poètique de prose 1978.

وإذا حاولنا تتبع المسار الذي تشكل وفق منظوره النقدي، نجد أنه يمثل حلقة من حلقات النقد الجديد في فرنسا، إلى جانب رولان بارت، و جيرار جينيت خصوصا. و يعود ذلك للتقارب الكبير الحاصل في الأطروحات النقدية المنهجية التي قدمها هؤلاء ضمن مسارات و قواعد ثابتة لتحليل النص السردي. كما أن الأثر الكبير للمدرسة الشكلانية، و تحديدا أعمال كل من جاكبسون، بروب، توماشفسكي، يتضح صداه الكبير في أعمال "جماعة النقد الجديد". كما يمكننا أن نسجل التأثير الذي تركه الناقد ميخائيل باختين في التوجهات اللاحقة لتودوروف، و بخاصة فيما يدعوه النقد الحواري.

و إذا سعينا إلى رسم معالم النظرية النقدية عند تودوروف، نجدها لا تختلف كثيرا عن المسار الذي خطاه رولان بارت، و المتمثل في الانطلاق من الأطروحة البنيوية اللسانية في تحليل السرد، ليتحول بعد ذلك إلى مفهوم الشعرية و النقد الحواري. غير أن هذا الانتقال لم يحوله بصفة جذرية عن أطروحاته البنيوية و الشكلانية الأساسية. وتتميز المرحلة الأولى . التي يمثلها مقاله الأساسي "مقولات السرد الأدبي (Les catègories du rècit littèraire) المنشور ضمن العدد 8 من مجلة "تواصلات" بالاستفادة المباشرة من اللسانيات البنيوية، و من مفهوم الخطاب عند إميل بنفنيست، و من الشكلانيين الروس، وتحديدا بروب و توماشفسكي و شكلوفسكي في مقاربة القصة، و مفاهيم أخرى مثل المتن الحكائي، و المبنى الحكائي، نظام الوظائف.. و هو ما يشكل تجاوبا مع أطروحات بارت التجديدية، وردا على المقاربات الكلاسيكية للنقد الأدبي.

و يؤكد تودوروف على هذا الوعي المنهجي المقترح، حين يقول: "إن مهمتنا هنا هي اقتراح نظام من المفاهيم التي تسهم في دراسة الخطاب الأدبي". و تتضمن الاقتراحات المقدمة في المقال المذكور سياقا واضحا للتعامل مع القراءة البنيوية للقصة، و يتم ذلك بدراستها وفق مستويين اثنين هما؛ التمييز بين القصة بوصفها نظاما حكائيا(Historie) ؛ وبوصفها نظاما خطابيا (Discours) أيضا. فالنص السردي في نظره يتميز بهذين المستويين، اللذين يمكن التعامل مع مكوناتهما بطريقة تتيح الكشف عن البنية السردية.

فالقصة تمثل جانبا حكائيا من خلال الأحداث المتعاقبة، التي قد تتشابه مع الحياة الواقعية، كما أنها تمثل جانبا خطابيا عبر طريقة انتقالها. فالقصة تفترض وجود راو يتحدث عن أفعال و مواقف يسردها على مستمع أو متلق، سواء أكان هذا الراوي حقيقيا أم افتراضيا. و في هذا المستوى فإن الذي بهمنا هو الطريقة التي تم بها السرد. و يقسم تودوروف المسارين المنتجين المتعلقين بالحكاية و الخطاب إلى جملة من المباحث نقدمها كما يأتي:

1- القصة بوصفها حكايةLe rècit comme histoire

يشير تودوروف في هذا المستوى من التحليل، إلى أن الحكاية هي بنية مجردة مطلقة، مكونة من مجموعة من الأفعال القابلة للسرد، من طرف مجموعة مختلفة و متعددة من الرواة، و بالتالي فهي غير ثابتة المعالم من حيث الأداء؛ فكلّ راو يقدمها وفق رؤيته الخاصة. غير أن هذه الحقيقة لا يمكن أن تلغي حقيقة الحكاية الأساسية، التي هي عناصر قائمة باستمرار في هيكلها الأولي.

و السرد التتابعي و الكرونولوجي للأحداث لا يفي بالضرورة بطبيعة الحكاية، التي يمكن أن يتغير المسار الكرونولوجي للأحداث فيها بمجرد أن تكون مشتملة على شخصيتين، فنجد أنفسنا مضطرين للتوقف عند حادثة خاصة بالشخصية الأولى، لنقوم بسرد الوقائع المتعلقة بالشخصية الثانية. و من ثم يمكننا القول إن الحكاية ليست هي الأحداث، بل العلاقة الاتفاقية التي تؤلف بينها، فالحكاية لا وجود لها في ذاتها. و بالتالي فإن إدراك الحكاية يتم في مستويين مختلفين من مستويات البنية الحكائية، هما:

أ) منطق الأفعال: يقرر تودوروف أن الأفعال في منظور الشعرية الكلاسيكية تتخذ طابعا دراسيا، يؤكد على تصنيفها من منظور التكرار. فالمنطق الذي يحكم آلية العلاقة الفعلية، لا يتحدد بمدى الاختلافات و التعالقات السردية، بل يتبع منحى متدرجا، في حصر مجموع الأحداث في مستوى بسيط من العلاقة مع الشخصيات، يجعل القراءة تتسم بالرتابة، و الابتعاد

عن تشكيل انسجام بين مختلف الوحدات السردية. و يقدم بالمقابل جملة من النماذج القابلة للتطبيق، من منظور أنه بالإمكان إقامة نمذجة تخص منطق الأفعال، قابلة لأن تكون صيغة مشتركة، تطبق بشكل نموذجي مطلق، يتناول الأفعال بصرف النظر عن طبيعتها.

يستنتج تودوروف في بحثه عن منطق مميز لترابط الأفعال نموذجين، هما:

النموذج الأول و هو النموذج الثلاثي، و هذا النموذج المستلهم من كلود بريموند يؤكد على أن القصة مكونة وفق منطق التسلسل، من افتراضات و تنويعات لمجموعة من السرود الجزئية(micro-rècit) ، القارة و الأساسية و التي تشترك و تتبني وفقها كل الحكايات. لأنها تمثل المواقف الأساسية في الحياة و يقوم هذا النموذج على ثلاث وحدات فعلية هي الفعل، و الاختلال، و التوازن.

النموذج الثاني: هو النموذج التماثلي، أو علاقة المشابهة (Le modèle homologique)، الذي يحدد من خلاله السرد مستوى تركيبيا، يرتبط بشبكة من العلاقات الاستبدالية، حيث يتم البحث انطلاقا من سطح النص على مستويات أخرى ممكنة تكثف من دلالته. فالحكاية تقوم على أساس من التوتر القائم على المشابهة و الاختلاف "و استغراق الحكاية في أحد هذين العنصرين دون الآخر يحيلنا إلى نوع من الخطاب لا يصدق عليه اسم القصة.. و يعطينا بالمقابل نوعا من الببغاوية المتحجرة انطلاقا من تشابه المسندات، أو في شكل من الكتابة الوثائقية المبنية فقط على الاستبدال.

و بناء على هذا الاستنتاج يكون تسلسل الأفعال في الحكاية خاضعا لمنطق محدد مبني على التماثل و المقابلة. فقيام مشروع تقابله إعاقة و اعتراض، و حدوث خطر تقابله مقاومة و تحدي أو هروب. و هكذا يمكن أن نحدد مجموع الاحتمالات السردية المبنية على التقاطع العلائقي، بين محوري التركيب والاستبدال السرديين. و قد طور تودوروف المعطيات المتصلة بمنطق ترابط الأفعال بشكل أكثر دقة، و تحديدا في مقاله المتعلق بالنحو السردي، الذي ضمنه في كتابه شعرية النثر.

المراجع :

- موسوعة ويكيبيديا
- ينظر الدراسة الجادة المتاحة على النت للدكتور: عمر عيلان: شعرية السرد والنحو السردي تزيفيتان تودوروف.